أثر الأمراء والوزراء في الحياة الثقافية في عهد بني بويه

دكتور
رضوان احمد مصلح الليث
استاذ التاريخ الإسلامي وحضارته المشارك
كلية الآداب - جامعة صنعاء

أثر الأمراء والـــوزراء في الحيـاة الثقافيـــة في عهـــد بني بويـــه

مُقـدِّمَة

لم تعرف الدولة البويهية الاستقرار السياسي منذ نشأتها في فارس سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م فكانت في حروب مستمرة مع القوى المحيطة بها فما أن تستقر جبهة حتى تظهر أخرى ولذلك كان معظم حكامها يمتلكون قدرات عسكرية فائقة للدفاع عن بلادهم من الاعتداء الخارجي أو محاولة القضاء على قوى لم تخضع لها ولا ترغب في وجودها وهذا في مرحلة القوة التي انتهت بوفاة عضد الدولة ، ثم دخلت في مرحلة الضعف حيث دخل أمراء البيت البويهي في صراع مرير بينهم على الحكم وكانت اشد تأثيرا على استقرار البلاد من الحروب الخارجية واستمر هذا الوضع حتى سقوط الدولة البويهية بيد السلاجقة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م .

وأمام هذه الصراعات العسكرية والسياسية ، تناول هذا البحث أثر الأمراء والوزراء في الحياة الثقافية في الدولة ، للتعرف علي دورهم في هذا المجال ، وأيهما كان أكثر تأثيرا في هذا المجال ، وذلك من خلال معرفة علاقتهما بالعلم أولا ، وبالعلماء وطلبة العلم ثانياً ، وذلك بتوفير الدعم المالي لهم ، لما له من أهمية كبرى في تسهيل أمورهم المعيشية والعلمية ، وكذلك تقريبهم منهم وإعطائهم المنزلة الرفيعة التي يستحقونها ، وتوفير المستلزمات المصاحبة للنهوض في الحياة الثقافية ، ويأتي على رأسها خزائن الكتب ، التي تعد الركن الثاني بعد العلماء في قيام النهضة الثقافية ، وحتى تكون الصورة كاملة تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية هي :

أثر الأمراء في الحياة الثقافية .

أثر الكُتاب والوزراء في الحياة الثقافية .

خزائن الكتب ، الخاصة والعامة .

المحور الأول : أثر الأمراء في الحياة الثقافية:

يرى المتتبع سيرة حياة الأمراء البويهيين وتاريخهم ، باستثناء المؤسسين الأوائل ، عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ، الذين كان يجمعهم هدف واحد هو تكوين الدولة والمحافظة عليها ، بينما عهود أبنائهم لا يجد فيها إلا الصراع والتناحر فيما بينهم على الحكم ، فكان الأخ يقتل أخاه لأنه نافسه على الحكم ، وقد يدخلان في حروب طوال فترة حياتيهما رغبة في ضم بلاد الآخر ، فكان الجانب العسكري هو الميدان الذي يسلكونه وهو المسيطر على عقولهم جميعا ، لأنه من خلاله يمكن أن يصل إلى مبتغاه بسهولة ويسر ، لذلك نجد الأثر الثقافي للأمراء البويهيين يكاد يكون شبه منعدم ؛ وذلك لانشغالهم كما ذكرنا في الحروب ، إذ لم تتحدث المصادر التاريخية التي اطلعنا عليها – حسب علمنا – عند الترجمة لهم ، بأنهم اهتموا بالعلم وأهله ، من قريب أو بعيد لنشر الثقافة في أرجاء الدولة .

لقد كان هذا الموضوع خارج نطاق تفكيرهم واهتمامهم ، ويستثنى منهم أمير واحد فقط هو الملك عضد الدولة (٣٦٦-٣٧٢هـ/٩٧٦-٩٨٢م) ، الذي كان وحيد عصره بين الأمراء البويهيين . لتفرده دون غيره في نواح مختلفة ، جعلت من الدولة البويهية في عهده من أعظم الدول ، وأكثرها ازدهاراً ، حيث شمل الخير أرجاء الدولة بشكل عام ، قد يكون السبب الذي أوصله إلى هذا المستوى ، والمكانة الرفيعة ، هو أستاذه أبو الفضل محمد

بن الحسين بن محمد بن العميد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) ، كاتب والده ركن الدولة ، الذي كان له الفضل في الإشراف على تربيته منذ صغره ، وكذلك تعليمه ، فغرس في قلبه حب العلم وأهله فترعرع على هذه الحياة ، فلم يجد نفسه إلا بين العلماء فصار عالماً في اللغة والنحو والأدب والشعر ، وكذلك في كافة نواحي الحياة المختلفة ، السياسية والعسكرية والاقتصادية...

ولا نبالغ اذا قلنا إنه لو لم يتعلم على يد ابن العميد وتأثر به ، وفي البيئة العلمية التي جعله يعيش فيها ، لكان حاله لا يختلف كثيرا عن بقية أمراء البيت البويهي السابقين أو اللاحقين له ، فقد كان لهذه البذرة العلمية التي زرعها ابن العميد لدى عضد الدولة ، الأثر الكبير على حياته حيث جعلته يحب العلم وأهله ، فنجده قريبا من العلماء يجلس معهم ويحاورهم في بعض المسائل العلمية وخاصة في علوم اللغة.

وعلى الرغم من وحدة الدولة في عهده ، لتضم كل الممالك التي كانت مجزأة بين أفراد الأسرة البويهية ، مما أدى إلى تغير نظام الحكم من نظام لا مركزي إلى مركزي ، إضافة إلى توسع الدولة لتضم بلاداً لم تكن قد خضعت من قبل لحكم بني بويه ، نجده كما يذكر الثعالبي[1] أنه كان : "يتفرغ للأدب ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ويقول شعرا كثيرا..." ، وبالفعل كان كثير القراءة للكتب منشغلاً بها ، ومن الكتب المحببة إلى قلبه والتي كانت لا تفارقه في سفره وحضره ، كتاب

[1]- عالبي. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ج٢، ص٢١٦، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، فقد كان " جليسه الذي يأنس إليه ، وحديثه الذي يرتاح نحوه"[1].

ومن الأشياء التي يتميز بها عضد الدولة دون غيره من بني بويه ، العلاقة الحسنة مع العلماء ، والمبالغة في احترامهم ، والاعتراف بفضلهم عليه ، وقلما نجد مثل هذا عند الملوك والأمراء الآخرين وهم في قمة مجدهم ، فكان عضد الدولة يقول:" أنا غلام أبي علي الفارسي في النحو ، وغلام أبي الحسين الصوفي في النجوم"٢.

وكان أبو علي الحسن بن احمد الفارسي النحوي(ت٣٧٧ه/٩٨٧م) من أئمة علم النحو في عصره بل نجد ياقوت الحموي٣ يقول عنه:" أبو علي الفارسي المشهور في العالم اسمه ، المعروف تصنيفه ورسمه ، وأحد زمانه في علم العربية" ، اخذ العلم على كبار علماء عصره ، وفي نفس الوقت أخذ عنه العلم طلبة صار لهم شأن بعده ، صنف الكثير من الكتب في النحو .

وحظي بمكانة كبيرة عند عضد الدولة ، فكان من ندمائه ولا يمل من صحبته، حتى أنه عرض عليه صحبته أثناء خروجه لقتال ابن عمه بختيار

١- ت الحموي. أبو عبدالله قوت بن عبدالله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأدباء،ج٤،ص٥٢ ، ط١ / ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

٢- بن الأنباري. كمال الدين عبد الرحمن بن محمد(ت٥٧٧هـ/١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص٢٧٤، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة- مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. القفطي. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م): إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة ، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٣- معجم الأدباء، ج٢، ص٤١٣.

بن معز الدولة، لكنه اعتذر له بقوله : " أنا من رجال الدُّعَاءِ لا من رجال اللِّقاءِ"[١] ، فقبل منه ذلك.

أما أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفي(ت٣٧٦هـ/٩٨٦م) ، الذي كان عضد الدولة يفتخر به بانه معلمه ، فكان من كبار العلماء في علم الفلك ، وهو من أصحابه المقربين ، وله مصنفات عديدة في هذا العلم[٢] .

وكان عضد الدولة ضليعا في النحو ، مكنه ذلك من الدخول في نقاش مع إمام النحو أبي علي الفارسي حول مسائل في النحو ، وعندما صنف له كتاب الإيضاح في النحو استقصره عضد الدولة وقال له :" ما زدت على ما أعرف شيئا هذا الذي صنفته يصلح للصبيان"[٣]، ولم يكن الرد على إمام في النحو بهذه الصورة ، إلا وهو متمكن في هذا العلم متبحرا فيه ، ونتيجة لهذا نجد أن أبا علي الفارسي صنف التكملة للإيضاح وحمله إليه[٤]، وعندما اطلع عضد الدولة عليه قال:" غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو"[٥]، وسبب ما قال ، انه اخطأ في مائة مسألة لغوية.

وللتأكيد على غزارة علمه في النحو ، يذكر أن عضد الدولة طلب من أبي علي الفارسي إماما يصلي به مشترطاً عليه : أن يكون جامعا إلى العلمِ بالقراءة العلمَ بالعربية ، فأتى بصاحبه عبيد الله بن محمد بن جرو

---

١ ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج٢، ص٤١٥.

٢- القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص١٥٢-١٥٣، مكتبة المتنبي ، القاهرة

٣ ابن الأنباري: نزهة الألباء ، ص٢٧٥. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٣، ص٤١٦

٤ المصدرين نفسيهما ، والجزء والصفحة .

٥ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٣، ص٤١٦.

الأسدي(ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)[١] ، صاحب التصانيف الكثيرة في النحو ، ومع ذلك عدل على قراءته[٢] .

ولذلك لا نستغرب اهتمامه بالأدباء ومنادمتهم أكثر من غيرهم ، ولا يعني هذا عدم اهتمامه بالعلماء وطلبة العلم بل نجده يغدق على الجميع الأموال.

لقد وجدت نهضة ثقافية في مدة حكم عضد الدولة ، في العديد من المدن الإسلامية ومنها الري ، التي يتميز أهلها بالعلم ؛ بسبب انتشار المجالس العلمية والمدارس فيها ، لذلك كانت عامرة بالعلماء ، ويؤكد هذا الرحالة المقدسي المتوفى سنة٣٨٠هـ/٩٩٠م ، الذي رحل إلى بلاد المشرق الإسلامي في عهد عضد الدولة ، وزار الكثير من المدن فيه ، وسجل كل ما رأته عيناه فيها ، وكونه يعد شاهد عيان على ما كان فيها من نهضة ثقافية ، وصف الري وأهلها بقوله :" علماء سراة وعوام دهاة... وبه مجالس ومدارس:..لا يخلو المذكر من فقه ولا الرئيس من علم...به مشايخ وآجلة وقراء وأئمة وزهاد..."٣.

١- جمته عند: القفطي: إنباه الرواة،ج٢،ص١٥٤-١٥٥. الداوودي. شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م): طبقات المفسرين،ج١،ص٣٧٧، راجع النسخة وضبط أعلامها/لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١ / ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ابن حجر العسقلاني . احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) : لسان الميزان، ج٤، ص١١٥-١١٦،ط٢/١٣٩٠هـ/١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .

٢- قوت الحموي: معجم الأدباء، ج٣، ص٤٥٣.

٤- لمقدسي. شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن البناء البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٩٩- ٣٠٠، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه ، محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

ويفهم مما ذكره المقدسي شاهد العيان أن المدارس كانت موجودة في تلك الفترة الزمنية ، ليس في الري فقط وإنما وجدت في مرو وفي إيرانشهر[١]، ولاشك أن وجودها كان مرتبطاً بالتعليم ، وبغض النظر عن عدم ذكر أسمائها ومَنْ أنشأها ، هل هو عضد الدولة أو كُتاب ووزراء بني بويه ؟ وكذلك عدم إيراد معلومات عن النظام التعليمي المتبع فيها ؟ والموارد المالية لها ؟ ومن القائمون عليها ؟ ولا نعرف السبب الذي جعل المقدسي يحجم عن إيراد المعلومات المتعلقة بالمدارس ، على الرغم من أهميتها ، في حين نجده يصف خزانة كتب عضد الدولة بصورة دقيقة ، ومع ذلك لا نستطيع أن نرجح من قام ببناء هذه المدارس ، هل هم العلماء ؟ أو الكُتاب و الوزراء ؟ أو عضد الدولة ، لأننا لا نملك دليلاً يجعلنا نجزم بذكر من قام بهذا العمل ، والشيء الذي يمكن قوله إن وجود هذه المدارس كان نتاج التأثير الإيجابي على الحياة الثقافية من قبل عضد الدولة والكُتاب والوزراء

إن هذه المدارس عرفت في بلاد المشرق الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، في عهد حكم بني بويه ، قبل أن تظهر بشكل كبير في عهد حكم السلاجقة ، وقد يكون الفرق بينهما ، أنها كانت قليلة العدد في العهد البويهي ، بينما كانت منتشرة في العهد السلجوقي ، وكان نظام الملك وزير الب ارسلان وابنه ملكشاه ، هو من أوجد المدارس النظامية والتي نسبت إليه.

واذا كان عضد الدولة لم يبن تلك المدارس ، لكن الحياة الثقافية في اغلب المدن في بلاد المشرق الإسلامي في مدة حكمه ، كانت عامرة بالعلماء وطلبة العلم في مختلف التخصصات العلمية.

١- لمقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٢٤٤، ٢٤٧.

وبحكم قرب عضد الدولة من العلماء ومصنفاتهم ، كان له اهتمام بالتاريخ ، ويرغب في أن يعرف الناس عن دولتهم ، التي وصل حكمها إلى بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، لذلك طلب من أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) ، الذي كان من أعظم الكتاب في إنشاء الرسائل ، ويعمل في ديوان الإنشاء ، وسبق لابي إسحاق أن عمل عند معز الدولة(٣٣٤-٣٥٦هـ/٩٤٥-٩٦٦م) ، وكانت له مكانة كبيرة عنده ، حتى أنه كان ينوب عن الوزير المهلبي في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة ، وعرض عليه بختيار بن معز الدولة أن يتولى الوزارة ؛ إن أسلم لأنه كان على دين الصابئة ، لكنه رفض وعندما قدم عضد الدولة إلى بغداد ، طلب منه أن يعمل كتابا في مآثر بني بويه وتاريخهم ، فصنف كتاب التاجي في أخبار بني بويه[1]، ولأنه كان مكرها على وضع الكتاب ، فقد دخل عليه أحد أصحابه وهو يضنفه فسأله عما يقوم به فقال :" أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها"[2].

ولميله إلى العلماء وحبه لهم فقد وفد عليه الكثير منهم ، فغمرهم بعطائه ، ولمعرفتهم بحبه للكتب ، قام بعض العلماء بتصنيف العديد من الكتب له في

---

[1]- بن النديم. محمد بن إسحاق(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م): الفهرست، ص١٦٧،اعتنى بها وعلق عليها /الشيخ إبراهيم رمضان، ط١/١٤١٥هـ/١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، ج١، ١٨٢. (يذكر أنه طلب من سنان بن ثابت بن قرة الصابئ أن يكتب عن أخبارهم فصنف له سنان كتاب التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم ، ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٣، ص٤٠٢) .

[2]- اقوت الحموي: معجم الأدباء ، ج١، ص١٨٢. الثعالبي : يتيمة الدهر، ج٢، ص٢٤٥. ابو الفداء . الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٢٩، مكتبة المتنبي، القاهرة .

تخصصات مختلفة ، منها : كتاب الإيضاح والتكملة لابي علي الفارسي ، وكتاب التاجي في التاريخ لابي إسحاق الصابئ ، وكتاب الكناشة المسمى الملكي في الطب ، لعلي بن العباس المجوسي[1] .

واذا كانت المصادر التاريخية قد تناولت علاقة عضد الدولة بالعلم وأهله بشكل كبير إلى حد ما ، فإن بقية الأمراء البويهيين المرتبطين بالعلم لم تتناول علاقتهم بهذا الأمر إلا بشكل يسير جداً حيث يقتصر الكلام عن وجود خزانة كتب ، أو أنه كان يطالع الكتب وينسخها ، أو أن له ميلاً إلى الآدب ...

فهذا حبشي بن معز الدولة أمير البصرة ، يذكر أنه كان لديه خزانة كبيرة فيها ألاف الكتب ، ولكنها تعرضت للمصادرة من قبل بختيار سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م[2].

وعلى الرغم من أن هذه الرواية ، التي ذكرتها المصادر التاريخية جافة ، لكن عند مناقشتها وتحليلها ، يمكن القول إنّ هذه الخزانة الضخمة وما تحويه من كتب في مختلف العلوم ، لا يمكن أن تنشأ من فراغ إلا ولصاحبها علاقة بالعلم منذ صغره ، فقد يكون تأثر بمؤدبه ، وميله إلى

١- القفطي : أخبار العلماء ، ص١٥٥-١٥٦. ابن أبي أصيبعة. موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٣١٩-٣٢٠ ، شرح وتحقيق/دكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

٢- كويه . أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م):كتاب تجارب الأمم،ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧، شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م. ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):الكامل في التاريخ،ج٧، ص٣٠٤، تحقيق/ أبي الفداء عبدالله القاضي ، ط١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

مجالسة أهل العلم عندما كبر ، حتى صار يمتلك من العلم ما يؤهله للدخول معهم في مناقشات حول بعض المسائل العلمية ، ولابد هنا من الاستعانة بما كتب في ذلك ، ولا نستبعد وجود مجلس علمي يحضره العلماء ، وكذلك ارتباطه بعلاقات مع بعض العلماء ، وإن لم تذكر المصادر التاريخية ذلك .

أما مجد الدولة بن فخر الدولة ، فلم نعثر له على ترجمة في المصادر التاريخية إلا بشكل عابر سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ، وذلك عندما سقطت الري بيد الدولة الغزنوية ، والسبب أنه ترك أمه تدير الدولة التي ورثها عن والده واهتم بمطالعة الكتب ونسخها[١] ، ويفهم من ذلك أن تفرغه واهتمامه بالثقافة والعلم كان أكثر من الحكم والسياسة ، بدليل أنه ترك لامه تسيير شؤون البلاد طوال مدة حكمه البالغة ثلاثاً وثلاثين سنة ، ولا يمكن أن يكون بعيداً عن العلماء والمجالس العلمية خلال هذه المدة الطويلة ، وكذلك لابد من وجود خزانة كتب في داره يستفيد مما تحويه ، من المصنفات في العلوم المختلفة ، وإلا ماذا يطالع وماذا ينسخ ؟ ولا نعرف سبب عزوف المصادر التاريخية عن ذكر المعلومات عنه . ولكن هذه الميول الثقافية التي وجدت عند مجد الدولة ، لأنه تعلم منذ صغره على أحد علماء اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا اللغوي(ت٣٦٩هـ/٩٧٩م) ، صاحب المصنفات الكثيرة ، الذي تم استقدامه إلى الري ليقرأ عليه مجد الدولة[٢] ، وذلك بإشارة من

١- ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص١٧٠.

٢- ابن الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٧٨. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج١، ٥٣٥ طاش كبرى زاده . احمد بن مصطفى(ت٩٢٨هـ/١٥٢١م) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج١،ص١٠٨-١٠٩، ط١/١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ج١، ص٣٥٢-٣٥٣، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيداء، بيروت.

كاتب والده الصاحب بن عباد ، الذي استفاد كثيراً من علم احمد بن فارس قبل غيره ، وعرف قدره وعلو منزلته في العلم ، وقدرته على تعليم مجد الدولة ، فكان لهذا التعليم الأثر الكبير على حياة مجد الدولة ، وكانت النتيجة تعلقه بالعلم إلى أبعد حد وانقطاعه عن السياسة وشؤون الحكم ، فصار في سلوكه هذا عكس الأمراء البويهيين الطامحين للحكم .

وهناك أميران بويهيان ، لم يذكر عنهما غير انهما كانا يهتمان بالأدب ويقولان الشعر، هما : عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة ، وأبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة[١]، وعلى الرغم من هذه المعلومة ، يلاحظ إهمال ذكر علاقتهما بالمحيط الأدبي الثقافي الذي كانا يعيشان فيه ، وكذلك من هم العلماء الذين أخذوا منهم الأدب وأشرف على تأديبهما، حتى أصبحان يهتمان بالأدب ويقولان الشعر .

أما تاج الدولة أبو الحسين احمد بن عضد الدولة فقد مدحه الثعالبي[٢] بقوله : " هو أديب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت إلى النكبة والحبس من جهة أخيه أبو الفوارس" ، ويتضح من خلال النص ، أنه من أكثر أمراء بني بويه أدبا وشعراً ، وعلى الرغم من عدم الإشارة إلى مجالسته للأدباء ، إلا أننا لا نستبعد بان يكون له مجلس ، يحضره الأدباء وغيرهم من أصحاب العلم ، وإلا كيف سيكون بهاتين الصفتين دون تأثير وتأثر من الأدباء ، ولا نعرف سبب إغفال مثل هذا من الكتاب والمؤرخين ، وفوق هذا اتصف بالكرم ، مما يعني إقبال الأدباء وغيرهم على مجلسه .

١ــ الثعالبي: اليتيمة، ج٢،ص٢١٨،٢٢٢.

٢ -- اليتيمة:ج٢، ص٢١٩ــ٢٢٢.

أما خسرو فيروز أبو منصور بن جلال الدولة الملقب بالملك العزيز(ت٤٤١هـ/١٠٤٩م) ، فكان شاعراً وبارعاً في الأدب ، وينوب عن والده في حكم واسط[١] ، له علاقة بالأدباء ويجلس معهم بحكم ميله إلى الأدب ، ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن نصر الكاتب(ت٤٣٧هـ /١٠٤٦م) ، الأديب والكاتب ، صاحب الرسائل المشهورة ، تولى الكتابة لجلال الدولة ، صنف للملك العزيز كتاب المفاوضة[٢] .

١- الذهبي . محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤٤١-٤٦٠هـ) ، ص٤٣-٤٤، تحقيق/الدكتور عمر عبدالسلام تدمري=، ط١/ ١٤١٣ه /١٩٩٣م ،دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان. سير أعلام النبلاء،ج١٧، ص٦٣٢، تحقيق/شعيب الأرنؤط، محمد نعيم العرقسوسي، ط١/١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة ، بيروت. ابن الوردي. زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٧م): تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٣٣٨، ط١/١٤١٧هـ /١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢ – ورد أسمه في أغلب المصادر باسم أبو الحسن محمد بن علي بن نصر وضمن ترجمة أخيه القاضي عبدالوهاب (ابن خلكان. احمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ/١٢٨١م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص٢٢٢، تحقيق/ إحسان عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان . الذهبي: سير ،ج١٧، ص٤٣٢. ابن فرحون المالكي. إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) : الديباج المذهب في أعيان عُلماء المذهب ،ج٢، ص٢٩، تحقيق/ دكتور/محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ، القاهرة مصر .ابـن الجوزي .أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠٤م): المنتظم في أخبار الأمم والملوك، ج١٥، ص٣٠٤ ، تحقيق /محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت -- لبنان .ابن العماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي(ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج٣، ص٣٧٩، المكتب التجاري ، بيروت .حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،ج٢، ص ١٧٥٨، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ويتضح من خلال ما ذكرنا ، أن دور الأمراء البويهيين في نشر الثقافة في مناطق حكمهم كان منعدماً ، وربما كانوا منغلقين على أنفسهم ، حتى كانت علاقتهم مع غيرهم من العلماء والأدباء ضيقة إلى حدٍّ ما ، وإلا لما أهملت ذكرهم المصادر التاريخية ، ويستثنى منهم عضد الدولة ، الذي اهتم بهذا الأمر وعنى به كثيراً ، حتى وصلت الناحية الثقافية إلى قمة ذروتها في فترة حكمه ، ليس في مدينة بعينها وإنما شملت كل أرجاء البلاد .

أثر الكُتاب والوزراء في الحياة الثقافية :

أهتم بعض الكتاب والوزراء البويهيين بالحياة الثقافية ، وأولوها جل عنايتهم ، وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل النهوض بها وغطوا عجز الأمراء البويهيين ، ويرجع السبب إلى أن بعض مَنْ تولى الوزارة كانوا من العلماء أو ممن يجلسون مع أهل العلم ، فانعكس هذا على ازدهار الحركة الثقافية بالإيجاب ، حيث شهدت نهضة كبيرة نتيجة لتشجيعهم العلماء ، وإغداق الأموال عليهم ، وتقريبهم منهم ، فكانت لهم مجالس علمية يحضرها العلماء بمختلف تخصصاتهم ، فكان لهم الأثر الكبير في تقدم الحركة الثقافية وازدهارها ، أكثر من الأمراء البويهيين .

ويأتي على رأس الذين كان لهم أعظم الأثر في وجود نهضة بالحركة الثقافية في عهد بني بويه أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن العميد كاتب ركن الدولة ، الذي يعد رائد الثقافة في عهد حكم بني بويه ؛ لأنه صاحب البذرة وراعيها في الدولة بشكل عام ، ويكفيه أن من بين تلاميذه من الأمراء البويهيين عضد الدولة ، أما الكتاب فمنهم الصاحب بن عباد .

وكان ابن العميد عالماً جليلاً في عدة علوم منها : اللغة والأدب[1]، وينظم الشعر ، بل لقد كان -بحق- من أعظم كُتَّاب زمانه ، وشهد له بذلك مسكويه[2] ، الذي قال بأنه:" كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة" لذلك كان يضرب به المثل في البلاغة فيقال: "بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"[3]، ولأدبه وبلاغته كان يسمى " الجاحظ الثاني"[4]، إلى جانب أنه أخذ من كل العلوم بطرف ، غير انه كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم[5].

وكان ابن العميد يحب العلماء ، ويجزل لهم العطاء ، ويقربهم منه[6]، وكان له مجلس يحضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة[7] ، ويستفيد كثيراً من علمهم ، فنجده مثلا يقرأ كتاب الطبائع لأبي عثمان الجاحظ على عبيد الله

١- مسكويه : تجارب الأمم ،ج٢، ص٢٧٧. الثعالبي: يتيمة الدهر،ج٣، ص١٥٤-١٥٥. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٥، ص١٠٤.

٢- تجارب الأمم، ج٢، ص٢٧٥.

٣- الثعالبي : يتيمة الدهر، ج٣، ص١٥٨. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٠٤.

٤ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٠٤.

٥ - مسكويه : تجارب الأمم، ج٢، ص٢٧٥،٢٧٧. الثعالبي: يتيمة الدهر ، ج٣، ص١٥٨ . ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٠٤. الصفدي. صلاح الدين خليل بن آيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):الوافي بالوفيات، ج٢،ص٢٨٢، تحقيق واعتناء/ احمد الأرناووط و تركي مصطفى،ط١/١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

٦- مسكويه : تجارب الأمم، ج٢، ص٢٧٨. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، ج٤، ص٢٩١، ٣٠٥،٣١٣.

٧- الثعالبي: يتيمة الدهر،ج٣، ص١٩٣. أبو حيان التوحيدي . علي بن محمد بن العباس(ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) : الإمتاع والمؤانسة ، ج١، ص١٠٣، صححه وضبطه وشرح غريبه/احمد أمين و احمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٨.

أبوبكر الخياط الأصبهاني ، الذي هو واحد زمانه في علم النحو ورواية الشعر ، ويقول ابن العميد بان أبابكر الخياط:" أفادني في نقد الشعر ما لم يكن عندي"[1] ، وهذا اعتراف منه بفضله ومدى استفادته من العلماء الذين يجلس معهم ، ويقضي معظم وقته إلى جوارهم أكثر من غيرهم ، على الرغم من تحمله مسؤولية البلاد وضبط أحوالها ، إلا أنه كما يذكر مسكويه[2] : " كان أكثر نهاره مشغولا بالعلم وأهله" ، ولهذا أرتقت الدولة وأرتفع شأنها بفضل العلماء .

ولبراعته في الأدب والبلاغة ، صنف ابن العميد في تخصصه من الكتب : كتاب ديوان رسائله ، وكتاب المذهب في البلاغات[3].

ولم ينقطع الدور الثقافي الذي بدأه ابن العميد بوفاته ، فقد واصل البناء الثقافي ليكتمل البناء وتعم الفائدة احد تلاميذه ، وهو الصاحب إسماعيل بن عباد(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) ، كاتب مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وأخيه فخر الدولة في الري ، ويمكن القول بأنه فاق أستاذه أبن العميد الذي اقتصر دوره الثقافي في الري ، بينما الصاحب كان دوره شاملاً في رعاية العلم وأهله ليس في أصفهان وحسب بل في معظم البلاد البويهية ، ومهما يكن فإن ذلك لا يمنع من حفظ الجميل لابن العميد لأنه صاحب البذرة الثقافية الأولى .

والحق يقال بأن البيئة العلمية التي نشأ فيها الصاحب قد ساهمت إلى حد كبير في الاهتمام بالثقافة ونشرها ، حيث كان الصاحب من أسرة معروفة بالعلم ، فكان والده من العلماء ، ولم يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد أن رحل

١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٣، ص٤٥٥-٤٥٦.

٢- تجارب الامم ،ج٢، ص٢٨١.

٣ــ ابن النديم : الفهرست، ص١٦٧.

إلى بلاد مختلفة ، وسمع الكثير من العلماء ، وله مصنف في أحكام القرآن[1]، ولقد تلقى الصاحب في بداية حياته العلم على والده ، وروى عنه ، كما أخذ العلم من كبار علماء عصره ، حتى صار يروي عنهم ، ولا يمكن أن يقوم بذلك إلا بعد حصوله على الإجازات العلمية من مشايخه .

وبعد تمكنه من العلم أخذ في نشره ، وبناء على ذلك روى عنه العديد من العلماء[2]، وبلغ من العلم مرتبة عالية جعلت الثعالبي[3] ، يمتدحه بقوله :" ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب ..." ، وشهد له على براعته العلمية ابن النديم[4] ، الذي قال عنه إنّه كان :"أوحد زمانه وفريد عصره في البلاغة والفصاحة والشعر" .

وكان الصاحب بن عباد في بداية أمره معلما بقرية من قرى طالقان[5]، قيل عنه انه :"كان كثير الحفظ ، حاضر الجواب ، فصيح اللسان قد نتف من كل أدب شيئا ، وأخذ من كل فن طرفا"[6] ، وربما أن هذه الصفات أهلته للعمل ككاتب عند ابن العميد ، فتعلم منه الكثير ، لعل أهمها الخبرة الإدارية إلى جانب العلم ، وتدرج في عمله حتى صار كاتبا لمؤيد الدولة بن ركن الدولة ، ومن المقربين منه ، ولعلمه وحسن إدارته كان المتولي والمتحكم في شؤون

١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢١٥-٢١٦. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٧.

٢ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٩٣.

٣- يتيمة الدهر ، ج٣، ص١٩٢.

٤- الفهرست، ص١٦٧.

٥- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢١٥.

٦- المصدر نفسه ، ج٢، ص٢١٧.

البلاد ، ولكفاءته لقبه مؤيد الدولة كافي الكفاة[1] ، وبعد وفاته عمل الصاحب كاتبا مع أخيه فخر الدولة ، وحظي بنفس المكانة التي كان يتمتع بها عند أخيه إن لم تكن أكثر ، فقد منحه الصلاحيات الكبيرة في إدارة البلاد ، ولولا علمه ما ارتفع شأنه إلى هذا المستوى من المكانة الرفيعة والاحترام الكبير .

وكان للمكانة الإدارية الرفيعة التي تمتع بها الصاحب بن عباد ككاتب ، دور كبير في إثراء الحركة العلمية في الري ، حيث جعل منها كعبة يؤمها أهل العلم ، وصارت منارة يهتدي بها السائرون ، ولِمَ لا وقد كان علماً من أعلام الأمة ، ويهتم بالعلماء وكل ما يهمهم ، بل نجده يخصص معظم الوقت لمجالسة العلماء والأدباء ، فيذكر الثعالبي[2] بأن أيامه كانت :" للعلماء والأدباء والشعراء ، وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم ، ومترع أمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم" ، لقد فاق أستاذه ابن العميد في علاقته الواسعة باهل العلم في مختلف التخصصات العلمية ، ومدى احترامه لهم ، فكانت داره مفتوحة لهم ، وموفرا كل احتياجاتهم ، وكأن لا هم له إلا تذليل الصعاب التي قد تعترض طريقهم العلمي .

ولأنه كان محط ترحال العلماء كونه يعد منهم ، ونظرا للمكانة الإدارية التي يشغلها في الدولة (كاتب) ، وما يتبعها من امتيازات ، كان يظن أن هذا قد يعد حاجزاً بينه وبينهم ، فتكون العلاقة بينهما رسمية ، ولإزالته كان عندما يُقدم عليه رجل من أهل العلم يقول له:" يا أخي تكلم واستأنس ، وأقترح وأنبسط، ولا ترع ...ولا يروعك هذا الحشم والخدم والغاشية وهذه المصطبة ... فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية ، فَلْيُفْرَجْ روعك، ولينعم بالك ، وقل

١- المصدر نفسه ، ج٢، ص٢١٦.

٢- يتيمة الدهر، ج٣، ص١٨٨.

ما شئت ، وأبصر ما أردت ، فلست تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف ، والإتحاف والإطراف ، والمواهبة والمقاربة ، والمؤانسة والمقابسة"[1]، وماذا يتوقع المرء للحياة الثقافية ومن العلماء ، بعد هذا الاستقبال للعلماء ، ومنحهم الحرية في القول ، وعدم الخوف مما يرونه من الحشم والخدم وما يحيط به ، لأن سلطان العلم فوق سلطان الولاية حسب مفهومه .

ونجده إلى جانب ذلك يفتخر بالعلماء ويجلهم ، فهذا أبو الحسين احمد بن فارس الرازي احد أئمة اللغة في عصره ، يكرمه بل ويتتلمذ له ويخاطبه بكل احترام:" شيخنا أبو الحسين رزق التصنيف وأمن التصحيف"[2] .

وكان حبه للعلم يجعله يستدعي العلماء من بلاد بعيدة ، لحضور مجلسه العلمي ، ويبذل النفقة الواسعة لترغيبهم في الانتقال[3]، وعند وصولهم كان يحسن إليهم ، ويتلمس أحوالهم ، ويغدق عليهم الأموال[4]، وقد يفهم من تصرفه هذا أنه منصرفا ومتفرغا للعلم والعلماء ، ومهملاً في شؤون الدولة والتقصير في واجباته الإدارية ، وهذا غير صحيح ، لأنه قسم وقته في اليوم إلى قسمين ، فكان في النهار يعمل في تنظيم شؤن الدولة والاهتمام

١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٣٠-٢٣١.

٢- الأنباري : نزهة الألباء، ص٢٧٨-٢٧٩.

٣- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٢، ص٢٨٣.

٤- الأنباري : نزهة الألباء ، ص٢٨٢.ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٣٧٦ . ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص٢٨٠، ٥٣٦ . ابن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ج١١، ص٣٣٧، تحقيق/احمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

بحل قضاياها ، وفي الليل يجلس مع العلماء ، ووضح سياسته لهم حتى لا يتحسس منه أحد ، بقوله :" نحن بالنهار سلطان وبالليل إخوان"[1].

لذلك كانت له مجالس علمية وأدبية يحضرها الكثير من العلماء والأدباء[2]، ويعد الشعراء أكثر حضورا من غيرهم ، حتى قيل أنه اجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره من الخلفاء والملوك[3] ، ربما لأنه أديبُ ومحبُّ لأهله ، وكذلك بذل الأموال لهم وإحسانه إليهم .

إن رعايته للعلماء لم يقتصر على من كان يحضر مجلسه ، بل نجده يصل إلى البلاد البعيدة التي يوجد فيها العلماء والأدباء ، حيث كان يحسن إليهم ، ويرسل الأموال لتوزيعها بينهم[4]، ولاشك أن مثل هذا الاهتمام والرعاية للعلماء المنتشرين في بقية المدن ، سيكون له التأثير الإيجابي على الناحية الثقافية ، بتذليل الصعوبات المادية التي قد تقف أمام طموحات بعض العلماء ، فصار الخير يشمل الجميع ، القريب والبعيد منه .

وعلى الرغم من الأعمال الإدارية التي يقوم بها ، والمجالس العلمية التي يقيمها ، إلا أن شغفه وحبه للعلم جعلته يخصص جزءاً من وقته للتدريس ، فكان له مجالس إملاء يحضرها جمع كبير من الفقهاء وطلبة العلم ، ونظرا لكثرة الحضور ، وجد العديد من المستملئين كل واحد يبلغ

---

1 - ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص٣٧٦.ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٢٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٩.

٢- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، ج٢، ص٢٣٥،٢٧٢.

٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٢٢٩. الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٣، ص١٨٩..ياقوت الحموي : معجم الأدباء،ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٨١.

٤- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤ ، ص٣٧٦ . ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٢٥٧،٢٨٣. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٩٦.

صاحبة ، وبلغ من حرص الصاحب على إظهار هيبة العلم وأهله ، أنه كان عند خروجه للإملاء ، يحرص على أن يرتدي الملابس الخاصة بأهل العلم[1].

إن الاهتمام بالعلماء وتوفير كل متطلباتهم من الصاحب ، كان له دور إيجابي على الحركة الثقافية ، التي ازدهرت وراجت ، وكان النتاج العلمي غزير فقد ظهرت الكثير من المصنفات في مختلف العلوم ، ولمعرفة العلماء بحب الصاحب للكتب وشغفه بقراءتها ، كانت ترسل له المصنفات من البلاد البعيدة ، فيأخذها ويأمر لصاحبها بصلة حتى وان كان مختلفاً معه[2]، وكانت تقدم له الكتب الكثيرة كهدية ، غير أنه كان يأخذ منها كتاب واحد فقط ويرجع الباقي إلى صاحبها فليس من طبعه كما قال هاتِ وإنما خُذْ[3] .

وساهم في هذا النتاج الصاحب بن عباد نفسه حيث صنف الكثير من الكتب في العلوم المختلفة مثل : اللغة والتاريخ والسير والفرق والأصول ومن مصنفاته : كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات ،كتاب الكافي، كتاب الزبدية، كتاب الأعياد، كتاب الوزراء، كتاب عيون المعارف في التاريخ، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته، كتاب العروض الكافي، كتاب

١- ابن الجوزي: المنتظم، ج١٤، ص ٣٧٦. ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج٢، ص٢٥٨-٢٥٩. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٩٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٨.

٢- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج١، ص٥٣٨.

٣- ابن تغري بردي .أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج٤، ص١٧١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .

جوهرة الجمهرة ، كتاب نهج السبيل في الأصول ، كتاب نقض العروض ، كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول وغيرها[1] .

ومن الكتب التي صنفت له : كناشه الكبير، في الطب وهو في خمسة مجلدات ، لجبرائيل ابن عبيد الله بن بختيشوع ، الذي سماه بالكافي بلقب الصاحب ابن عباد لمحبته له[2].

وإذا كان ابن العميد في الري ، والصاحب بن عباد في أصفهان ، قد جعلا من هاتين المدينتين مركزين ثقافيين في المشرق ، فإن الوزير أبا محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم المهلبي(ت٣٥٢هـ/٩٦٣م) المعاصر لهما ، لم يكن اقل شأناً منهما ، في المساهمة في إثراء الحياة الثقافية في غرب الدولة البويهية ، فقد جعل من بغداد مركزاً ثقافيا ، تنافس الري وأصفهان ، وكان الوزير المهلبي يتصف بصفات ابن العميد والصاحب ، العلمية والأدبية ، فكان شاعرا وأديبا ومحبا لأهل الأدب[3].

لقد كانت العلاقة بين الوزير المهلبي والأدباء والعلماء وطيدة جداً ، لدرجة انهم كانوا لا يفارقون بعضهم البعض ، ولا يملون الحديث فيما بينهم عن الأدب والعلم ، ليس في المجالس العلمية فحسب بل حتى على

١- ابن النديم : الفهرست، ص١٦٧. ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج٢، ص٢٦٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٢٣٠. الذهبي : تاريخ الإسلام، ص٩٤-٩٥. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٨٢ـ ٨٣.

٢- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٢١٢، ٢١٤.

٣- الثعالبي: اليتيمة، ج٢،ص٢٢٣.ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٢٤.الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٩.

مائدة الطعام ، التي يحرص المهلبي على أن يكونوا معه وهم كذلك ، لأنه تميز بطيب الحديث[1].

لقد حمل الوزير المهلبي منذ استكتبه معز الدولة سنة٣٣٩هـ/٩٥٠م ، مشروعاً ثقافياً ، تمثل في إحياء تراث الأمة ، وربط الناس بالعلم ، من خلال ما خلفه الأوائل ، وشهد له مسكويه[2] على ذلك بقوله:" وتوفر مع ذلك على أهل الأدب والعلوم فأحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوه بهم ورغب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها" ، وهي دعوة عامة لكل أفراد المجتمع بالمشاركة ، لذلك لا غرابة إذا كان يجمع العلماء والأدباء لهذا الغرض ، ويتحمل سلوك بعضهم الرديء لأجل علمهم ، فكان أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندمائه المقربين ، وله مكانة كبيرة عنده ولكنه :" كان وسخا قذرا لم يغسل له ثوب منذ فصله إلى أن قطعة وكان المهلبي...يحتمل له ذلك لموضعه من العلم"[3]، ولم يقتصر الأمر على أبي الفرج ، بل كان احمد بن إبراهيم أبو رياش من الأدباء الكبار والمقربين من المهلبي ، سيئ الأدب في المؤاكلة ولكنه كان يحتمله لعلمه الغزير[4] .

---

١ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج٣، ص٧٢.

٢- تجارب الامم، ج٢، ص١٢٥.

٣ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج٤، ص٥٣.

٤- المصدر نفسه ، ج١، ص٢٤٥.

وصنفت للوزير المهلبي الكثير من الكتب منها : كتاب مناجيب الخصيان لأبي الفرج الأصفهاني ، أخبار الوزير المهلبي لأبي الحسين هلال الصابئ[١] .

ولأنه من أهل العلم وبحكم مجالسته لهم ، لم يكن بعيدا عن التصنيف ، وله من الكتب : كتاب ديوان رسائل وتوقيعات ، وديوان شعر[٢]، ويذكر بان عن مؤلفاته كتاب في البلدان[٣] ، وهذا غير صحيح لان الكتاب هو للحسن بن محمد المهلبي المصري وليس للمهلبي الوزير[٤].

لقد أصبحت الري وأصفهان وبغداد ، من المراكز الثقافية في الدولة البويهية ، منذ نشأتها الأولى ، بفضل كتابها ووزرائها الأوائل ، الذين أوجدوا البنية الأساسية للثقافة في البلاد ، وجاء بعض الكتاب والوزراء اللاحقين لهم وساروا على نفس خطى ما بدأه السابقون .

وبعد أن كانت الحلقات العلمية التي تقام في المساجد ، وكذلك المجالس العلمية التي يقيمها بعض الوزراء في دورهم وأيضا العلماء ، مقصورة على نشر الثقافة ، حدث شيء جديد لم يكن موجوداً في السابق ، ويعد قفزة كبيرة في تاريخ التطور الثقافي في عهد بني بويه ، تمثل ذلك بإنشاء أماكن علمية خاصة تجمع العلماء وطلبة العلم ، توفر فيها جميع المستلزمات التي تخدم العلم وأهله .

---

١ - المصدر نفسه ، ج٤، ص٥٣.

٢- ابن النديم : الفهرست، ص١٦٧.

٣ - الزهراني . محمد مسفر(دكتور): نظام الوزارة في الدولة العباسية٣٣٤ -٥٩٠هـ(العهدان البويهي والسلجوقي) ، ص١٨٦، ط٣/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤- ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ٣٩٤، تحقيق/فريد عبد العزيز الجندي، ط١/١٤٢٠هـ/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وكان الرائد لهذا المشروع الثقافي سابور بن اردشير (ت٤١٦ه/١٠٢٥م) وزير بهاء الدولة ، كان كاتباً سديداً عمل في الدواوين وكان ينوب في الوزارة ، اشترى داراً بالكرخ سنة ٣٨٣ه/٩٩٣م ، وجدد عمارتها ، ووقفها على الفقهاء ، سماه دار العلم[١] ، وعمل فيها خزانة للكتب جعل فيها أكثر من عشرة الأف مجلد في مختلف العلوم[٢]، ابتاعها وجمعها وعمل لها فهرستاً[٣] أوقفها على العلماء وطلبة العلم المنتفعين به ، ورتب فيها موظفين لخدمتها ، وأسند مهمة الإشراف عليها إلى بعض كبار العلماء منهم : أبو عبد الله الحسين بن هارون بن محمد الضبي القاضي (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م) وكان قد تولى القضاء بربع الكرخ ومدينة المنصور والكوفة ، وكان يروى الحديث[٤]، وأبي الحسين محمد بن الحسين بن أبي الشيبة ، وأبي عبد الله محمد بن احمد الحسني، والشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي(ت٤٠٣هـ/١٠١٢م) ، إمام المذهب الحنفي في عصره[٥] .

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج١٧، ص٣٨٧. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،ج٣، ص٢٢٨.

٢- ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص١٥٤.

٣- ابن الجوزي: المنتظم،ج١٥، ص٣٦٦.

٤- الخطيب البغدادي. أبو بكر أحمد بن علي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ بغداد،ج٨، ص١٤٦-١٤٧، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان . ابن الجوزي: المنتظم،ج١٥، ص٦٢-٦٣. الذهبي : تاريخ الإسلام(حوادث ٣٨١-٤٠٠هـ) ،ص٣٥٦-٣٥٧. سير أعلام النبلاء ، ج١٧، ص٩٦-٩٧. ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ،ج٣، ص٢٨٨.

٥- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٣، ص٢٤٧. المنتظم، ج١٤،ص٣٦٦. سيرا علام النبلاء،ج١٧ ،ص٢٣٥. تاريخ الإسلام(حوادث٤٠١-٤٢٠هـ)، ص٩١-٩٢. ابن أبي الوفاء القرشي. أبو محمد عبدالقادر بن محمد بن محمد(ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م): لجواهر المضيئة في طبقات الحنفية،ج٢،ص٣٧٤-٣٧٥، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢/١٤١٣هـ -١٩٩٣م، هجر للطباعة والنشر، الجيزة ، مصر.

وحتى تستمر هذا الدار تؤدي عملها ، بصورة دائمة وبدون انقطاع أو تعثر ، سواء كان موجوداً أم لا ، آمن لها متطلباتها المالية التي تكفي للعلماء وطلبة العلم ، ووفر جميع المستلزمات التي يحتاجونها ، بان أوقف عليها الوقوف[1] ، ونتيجة لتوفر المصدر المالي ، لم تتعثر هذه الدار عن الأداء في واجبها الذي أقيمت من أجله ، فقد ظلت تؤدي رسالتها العلمية إلى أن احترقت في عهد السلطان السلجوقي طغرلبك سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[2]

ودار العلم التي عمله الوزير سابور ، تعد أول مدرسة خصصت للتعليم في دار الإسلام كما يذكر ابن كثير[3] : "وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة " ، ويؤكد هذا أن فكرة إنشاء مدارس نظامية وإن لم تحمل هذا الاسم ، كانت من الوزير البويهي سابور وليس من الوزير السلجوقي نظام الملك ، والاختلاف بينهما أن سابور اقتصر على مدرسة واحدة ولم تعمم الفكرة على بقية البلاد ، بينما نظام الملك عمم وجود هذه المدارس على مدن كثيرة من البلاد.

وعند النظر بإنصاف إلى وضع الوزيرين لعذر سابور ، فالفارق كبير بينهما ، حيث كان الوزير نظام الملك متحكماً بكل مفاصل الدولة ، وهو المدبر للسلطان ملكشاه ومن قبله لوالده السلطان الب ارسلان ، بينما الوزير سابور لم يمتلك كل المقومات ، من الأمور المادية والمدة الزمنية لبقائه في الوزارة التي لا تتجاوز العامين ، نظرا لسيطرة بعض رجال الحاشية على بهاء الدولة ، ولو قدر له وامتلك نصف إمكانيات نظام الملك ، لتغير الحال

١- ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥، ص١٧٢. ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٤٦٤،ج٨، ص١٥٤.
ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣٥٦. ابن كثير: البداية، ج١٢، ص٢١.

٢- ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص١٥٤.

٣- البداية ،ج١١، ص٣٣٤.

في هذا الأمر ، وبالتالي ما قام به يعد عملا عظيما في مثل ظروفه تلك ، ويكفيه فخراً انه أول من عمل وأسس لمثل هذه المدارس في بلاد المشرق الإسلامي .

والملفت للنظر أن المصادر التاريخية التي ترجمت للوزير سابور بن اردشير ، لم تذكر أنه كان من العلماء أو ممن يجالسونهم ، وتكتفي بالقول بأنه كان متديناً ، مواظباً على الصلاة ، خيراً ، عفيفاً عن الأموال وكان بابه محط الشعراء ، مدحه الكثير منهم[1] ، أورد الثعالبي[2] مدائحهم له ، وقد يكون تدينه هو الذي جعله يقوم بشراء هذه الدار ، بغرض نشر العلم ، وربما اعتبرها صدقة جارية للمسلمين يتقرب بها إلى الله عز وجل .

أما أبو غالب محمد بن علي بن خلف الملقب فخر الملك (ت٤٠٧هـ/١٠١٦م) ، وزير بهاء الدولة ووزر لابنه سلطان الدولة ، فيعد من أعظم وزراء بني بويه بعد ابن العميد والصاحب بن عباد ؛ لارتباطه بعلاقة وطيدة مع العلماء ، حيث كان يبالغ في احترامهم ، ويجلهم اكثر من غيرهم ، وعرف بسخائه الكبير في إغداق الأموال على العلماء ، فكانت صلاته كما يذكر ابن الجوزي[3] تجرى على الفقهاء ما بين بغداد وشيراز .

ويعد هذا تطوراً في تفكير بعض الوزراء في رعاية العلماء ، فمن تقريبهم ومنحهم الصلات ، إلى بناء دور علمية لتجمع أهل العلم فيها وتوفير كل احتياجاتهم ، إلى تخصيص منطقة جغرافية واسعة يهتم فيها

١ – ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣٥٤. الذهبي : تاريخ الإسلام (حوادث٤٠١-٤٢٠هـ) ، ص٤٠١.

٢- اليتيمة ، ج٣، ص١٢٩-١٣٦. انظر أيضاً : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣٥٥.

٣- ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥ ، ١٢٤.

بأهل العلم جميعهم ، كل ذلك اجتهادات متطورة ومتلاحقة من قبل الوزراء في سبيل نشر العلم وخدمة الثقافة ، ويفهم من تحديد الوزير فخر الملك لهذه البلاد بأن قدراته المالية لا يمكن أن تتجاوزها ، إضافة إلى أنه كان متعهداً للعلماء جميعهم وبدون استثناء ، ومع ذلك نجد بعضهم يرفض قبول تلك الأموال ؛ لإحساسه بعدم استحقاقه لها لأنه لم يعمل أو يكلف بمهمة حتى تكون من نصيبه ، أو لأنه مقتدر مالياً ، ولكن ما يفعله الوزير يعد عملاً عظيماً ، سيعود بالفائدة الكبيرة على الناحية الثقافية التي ستزدهر بفضل هذه الرعاية والاهتمام .

إن الدعم المالي الذي يقدمه الوزير فخر الملك للعلماء ، قد يكون الجزء الأكبر منه من ماله الخاص ، لأنه من أسرة ثرية جدا ، فقد كان والده صيرفيا في واسط[1]، ولا نستبعد استمرار عمله في التجارة إلى جانب عمله في الوزارة ، والذي جعله يقوم بذلك أنه كان متديناً ، كريماً ، كثير الصدقة ، وبناء على ذلك فهو يرى أن صلاح العلماء صلاحاً للمجتمع ، ونشر فيه الخير للإمة .

ولم يقتصر الأمر هنا على رعاية الوزير للعلماء مادياً ، بل نجده يذهب لزيارتهم في دورهم ، وهذا يعد إجلالاً لهم وبيان مكانتهم وعلو منزلتهم في المجتمع ، فيذكر – رغم تشيعه – أنه كان يزور شيخ الشافعية ببغداد احمد بن محمد بن احمد أبو حامد الإسفراييني (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م) ، ويحمل إليه الزكاة والصدقات لتوزيعها بنظره على المحتاجين ، ومن محبته لهذا الشيخ كان يقرر لأصحابه في كل شهر مائة وستين ديناراً[2] .

---

[1] – الصفدي : الوافي ، ج٤، ص٨٨.

[2] – ابن الجوزي : المنتظم، ج١٥، ص١١٣.

ومن العلماء الذين زارهم أبو القاسم علي بن طلحة بن كردان النحوي(ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)، الذي صنف كتابا كبيرا في إعراب القرآن يقارب خمسة عشر مجلدا ، وبذل له المال فلم يقبل لأنه كان معروفا بنزاهته وعدم تقبله للأموال التي تقدم له[١] .

ولمعرفة علو شأنهم عند الوزير ومحبته لهم ، قصده العلماء والشعراء ، لكرمه وجوده فلم يبخل عليهم[٢] ، ولأجله صنف أبو بكر محمد بن الحسن الكرجي كتاب الفخري في الجبر والمقابلة[٣]، وسماه بهذا الاسم نسبة إلى لقبه فخر الملك ، وكتاب الكافي في الحساب[٤].

إن الاهتمام بالعلماء وطلبة العلم من قبل الوزير فخر الملك ورعايته لهم ، قد اسهم إلى حد كبير في ازدهار الثقافة ، لان الحلقات العلمية انتشرت وامتلأت بالطلاب ، فكان يحضر مثلاً حلقة أبا حامد الإسفراييني سبعمئة متفقه ، ويقاس ذلك على بقية حلقات العلماء ، وان لم يكن الحضور بنفس العدد فقد تتفاوت نسبة الحضور من عالم إلى آخر ، إضافة إلى ذلك نجد أن النتاج العلمي للعلماء كان غزيراً ، قد يصل عند بعض العلماء إلى المئات من الكتب للعالم الواحد، وربما لو كانت الرعاية والاهتمام مفقودة لتغير حال الثقافة وأهلها .

١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٤، ص١٣٣. السيوطي: بغية الوعاة ، ج٢، ص١٧٠.

٢- ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٤، ص٧٢.

٣- الذهبي : العبر ، ج٢، ص٢١٤، تحقيق/أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت.

٤ - ابن الأثير : الكامل ، ج٨، ص٩٠. ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص١٢٥. الصفدي : الوافي،ج٤، ص٨٨ . ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٣، ص٣٣١.

وكان أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان(ت٣٧٥ه/٩٨٥م) وزير صمصام الدولة ، واسع الاطلاع في علوم مختلفة ، ومن محبي العلم ، وله مجلس للعلم يحضره العلماء والأدباء ، وكان يباهي بمجلسه ويفخر به على مجالس ابن العميد والصاحب والمهلبي ، ومن ندمائه أبو حيان التوحيدي صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ألفه لابي الوفاء محمد بن محمد بن يحي البوزجاني أحد ندماء وأصحاب الوزير ابن سعدان ، لأنه صاحب الفضل في وصوله إلى مجلس الوزير ، ويتضمن الكتاب الحوارات التي بينه وبين ابن سعدان في سبع وثلاثين ليلة ، وكان الوزير هو الذي يقترح عنوان موضوع الحوار مسبقاً ويضع أسئلة ، سواء في اللغة أو الفلسفة أو الاجتماع أو الأخلاق أو البلاغة أو التفسير أو الحديث...الخ ، وأبو حيان يجيب عليها[1] .

أما أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان(ت٤١٦ه/١٠٢٥م) ، وزير شرف الدولة وبهاء الدولة ، فلم يكن بعيداً عما سار عليه بعض الكُتاب والوزراء ؛ في دعم العلماء ورعايتهم ، فقد عرف عنه محبته للعلماء وميله اليهم ، وأنه كان له مجلس يحضره أهل العلم ، ولم يبخل عليهم فقد كان يغدق الأموال على العلماء والشعراء[2] ، ومثل هذا سيكون له الأثر الإيجابي الكبير على الحياة الثقافية في البلاد .

ومن الوزراء الذين اسهموا في إثراء الثقافة برعايته للعلماء ، الوزير أبو منصور بهرام بن مافنة(ت٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) وزير الملك أبو كاليجار الذي كان يقرب إليه العلماء ويحظون بمكانة كبيرة لديه منهم الحسن بن

١- أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة، المقدمة، ص ح- ت .

٢ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥، ص١٧٣. ابن كثير : البداية، ج١٢، ص٢٢.

احمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة ، صاحب التصانيف العديدة ، التي كتبها وهو تحت رعايته ، فكان يغدق عليه الأموال حتى قيل انه أثرى من جهة الوزير[1] .

ويلاحظ هنا أن الدور الثقافي للكتاب والوزراء خلال فترة حكم بني بويه التي تصل إلى قرابة مئة وثلاث عشرة سنة ، كان محصورا في القليل منهم يصل عددهم إلى ثمانية فقط ، وهؤلاء هم المؤثرون في الحياة الثقافية بشكل واضح وجلي ، وهي تعد نسبة ضئيلة جد خاصة إذا عرفنا أن عدد كُتاب ووزراء بني بويه قرابة الواحد والسبعين ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعضهم تولى الوزارة أكثر من مرة ، وخاصة في عهد صمصام الدولة وبهاء الدولة وجلال الدولة ، فلماذا اهتم بعضهم بالثقافة بينما اهملها البعض الآخر؟ وهل كان الإهمال متعمداً ؟ .

والحقيقة أن اهتمام البعض من الكتاب والوزراء بالجانب الثقافي ، يرجع إلى دافع شخصي ولكنه يختلف من واحد إلى آخر ، فالبعض يكون بسبب علمه ، فيرتبط تلقائيا بالعلم وأهله ، ويقدم لهم الدعم المادي والمعنوي وهذا كفيل بإثراء الحياة الثقافية ، ومن هؤلاء ابن العميد والصاحب والمهلبي .

أما البعض الآخر فتحركهم العاطفة الدينية ، بمعنى أنهم ليسوا من العلماء ، لكنهم يحبون العلم وأهله ويبذلون كل ما يملكون في سبيل نشر الثقافة بين أفراد المجتمع ، لذلك نجدهم يسارعون إلى تقديم الدعم المالي لهم ، وعمل مجالس علمية في دورهم يحضرها العلماء وهؤلاء هم :

---

[1] - ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٢، ص٤٢٨-٤٢٩. انظر أيضا : السيوطي : بغية الوعاة ، ج١، ص٤٩٨-٤٩٩.

سابور بن أردشير ، وبهرام بن مافنة ، ومحمد بن خلف ، والحسين بن سعدان ، ومحمد بن صالحان .

بينما بقية الكتاب والوزراء كانوا بعيدين كل البعد عن الثقافة ، لعدم ميلهم إلى العلم وأهله ، بمحض إرادتهم ودون تدخل من الأمراء البويهيين ، ربما لانشغالهم في الحروب وإدارة الدولة ، وهذا ينطبق على الفترة منذ قيام الدولة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ، وحتى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م .

وتغير الحال بعد ذلك ، فقد أصبح هم الكُتاب والوزراء وشغلهم الشاغل توفير المال للأمير وجنده ، إضافة إلى دخول البلاد في صراعات على عرش الدولة بين الأمراء البويهيين ، وهذا كفيلٌ بانصرافهم وبعدهم عن الحياة الثقافية ، وخلال هذه الفترة كان يظهر واحد من الكُتاب أو الوزراء الذين ذكرناهم سابقا ممن يهتمون بشؤون الثقافة .

خزائن الكتب :

للكتاب أهمية كبرى في الحياة الثقافية ؛ لأنه يعد الركن الثاني من أركان الثقافة بعد الشيخ ، فلا يستقيم حال الثقافة عند غياب أحدهما ، لذلك وجد الاهتمام من قبل بعض قيادة الدولة سواء كانوا أمراء أو كُتاباً ووزراء ، بإنشاء خزائن الكتب التي تنوعت بين الخاصة والعامة ، وتم تزويدها بالكتب في مختلف التخصصات العلمية .

خزائن كتب الأمراء :

عدم اهتمام الأمراء البويهيين بأمر العلماء ، انعكس ذلك سلباً على خزائن الكتب ، التي لم تحظ بالاهتمام من قبلهم ، ويستثنى من ذلك قلة منهم ، ويأتي على رأسهم عضد الدولة الملك البويهي الوحيد ، الذي كان يهتم بالعلم والعلماء ، ويناقشهم في بعض المسائل العلمية ، ونتيجة

لارتباطه بالعلم وأهله ، اهتم بإنشاء خزانة كتب في قصره وزودها بالكتب بمختلف التخصصات العلمية ، حيث كان يجلب إليها الكتب من مختلف أرجاء البلاد ، ورفدها بكل جديد يصنف من قبل العلماء ، فكانت خزانة عظيمة جعلت الرحالة المقدسي[1] يصفها دون غيرها ، بقوله:" حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها . وهي أزج طويل في صفة كبيرة ، فيه خزائن من كل وجه . وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتا طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق ، عليها أبواب تنحدر من فوقه ، والدفاتر منضدة على الرفوف ، لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب ، ولا يدخلها إلا كل وجيه " .

إن هذا الوصف يجعلنا نقول : إننا في مكتبة من المكتبات الرائدة في عصرنا الذي نعيشه ، وربما تكون خزانة كتب عضد الدولة افضل بكثير ؛ لأنها مكتبة شاملة لكل المعارف الإنسانية ، والأهم من هذا أنها كانت تزود بالكتب التي يتم تصنيفها أولا بأول حتى وقت عضد الدولة ، وهذا يعني أن القائمين عليها يتابعون النتاج العلمي للعلماء في مختلف أرجاء دار الإسلام ويتم شراؤه - بينما بعض المكتبات العربية في هذا العصر تفتقر لمثل هذا لا نها تكتفي بما تحويه من الكتب دون متابعة ما هو جديد ، أو تعويض ما يتلف من كتبها - إضافة إلى توفير الدفاتر على المنضدة لمن يريد النسخ من أي كتاب يحتاجه ، ولعظمتها جعلت متز[2] يعقد مقارنة بينها وبين بعض

---

1 - المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٤١ .

٢ - متز . آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٢٤٤، ترجمة/محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٢ / ١٩٩٥م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

خزائن الكتب في الغرب الأوربي في تلك الفترة ، وعلى الرغم من وجود هذه الثروة العظيمة من الكتب ، إلا أنها كانت للأسف مقصورة على وجهاء الدولة الذين تختلف علاقة كل واحد منهم بالكتب ، ومع ذلك لا نستبعد استفادة العلماء منها .

فقد تمكن المقدسي الذي زار شيراز من الدخول إلى هذه الخزانة ، والاستفادة من بعض كتبها ، وخاصة كتب البلدان والأماكن ، وكان يصرح بهذا في كتابه بقوله :" ووجدت في كتاب بخزانة عضد الدولة...، وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة..."[1].

ولأهمية هذه الخزانة لما تحويه من مصنفات قيمة في مختلف العلوم ، عين عليها أحد كبار العلماء في عصره من ذوي الخبرة في خزائن الكتب ، هو المؤرخ أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)[2]، الذي كان المسؤول عن خزانة الكتب لابن العميد[3] ، وكان من أهل الأدب والبلاغة والشعر ، لذلك اتصل به والتحق بخدمته حتى صار من المختصين به وخازن خزانة كتبه ، وعرف بأبي علي الخازن ، وساعده هذا العمل في طلب العلم والتوسع في القراءة في مختلف المعارف ، وله مصنفات عديده لعل من أهمها كتاب تجارب الأمم في التاريخ[4] ، الذي يتناول الأحداث التاريخية منذ تولى المقتدر الخلافة العباسية سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م ، وحتى سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م.

١- المصدر نفسه ، ص٢١٠، ٢٣٥، ٣٠١، ٣٤٠.

٢- القفطي : أخبار العلماء ، ص٢١٧-٢١٨.

٣- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٢، ص٣-٦.

٤- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٢، ص٣-٦.

إن عضد الدولة يعد راعي الثقافة في الدولة البويهية ، فهو أول من اهتم بالعلماء ، وقربهم إليه ، وناقشهم في بعض المسائل العلمية ، وعمل خزانة كتب في قصره ، لتكتمل الفائدة .

وممن اهتم بإنشاء خزائن الكتب من الأمراء ، حبشي بن معز الدولة أمير البصرة ، الذي يختلف عن والده وأخيه بختيار من حيث الميول الثقافية ، حتى وإن لم يذكر لنا عن اهتمامه بالعلم وأهله ، أو انه كان لديه مجلس يحضره العلماء ، أو يستقبلهم ويهتم بأحوالهم ، لكننا نجده يهتم اهتماماً كبيراً بالكتب واقتنائها ، فقد كان يمتلك خزانة كبيرة فيها ألاف الكتب ، ويعد الشخصية الثانية من الأمراء بعد عضد الدولة في إنشاء خزانة كتب في قصره .

ولكنها تعرضت للمصادرة ، من قبل جيش بختيار الذي أرسله سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م إلي البصرة ، عندما اعلن حبشي العصيان عليه ، فتمت مصادرة كل ما معه ومنها خزانته المليئة بالكتب ، والتي تحتوي على خمسة عشر الف مجلد وغيرها[١].

ويلاحظ هنا الهوة الواسعة بين الأمراء البويهيين والكتاب ، فبدلاً من المحافظة على خزانة الكتب ، والاهتمام بها ، وتزويدها بكل ما هو جديد من الكتب ، أو نقلها إلى مكان آخر ليستفاد مما تحويه من كتب لأنها تعد ثروة ، لكن تم التعامل معها وكأنها مصدر من مصادر الشر على بختيار يجب التخلص منها بالمصادرة .

١- مسكويه : كتاب تجارب الأمم،ج٢، ص٢٤٦-٢٤٧. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج٧، ص٣٠٤ .

ومما يلفت النظر هنا ، أن المصادر التاريخية التي ذكرت الخزانة وما تحويه من كتب كثيرة تعد بالألاف ، لم تتعرض لعلاقته مع العلماء ، فمن غير المنطقي أن يجمع تلك الكتب لنفسه دون معرفة أهميتها وما تحويه من معلومات قيمة ، مالم يكن قد اخذ العلم من علماء وتأثر بهم ، ومع مرور الوقت تعلق بالكتب وظهر حبه وميله للقراءة ، مما جعله يكون خزانته الكبيرة تلك .

وينطبق الشيء نفسه مع بهاء الدولة بن عضد الدولة ، فقد ذكر في ترجمة علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)[١] ، أن بهاء الدولة كانت له خزانة للكتب في شيراز ، وكان ابن البواب هو المسؤول عنها لقوله:" كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إلي" ، وكان يوجد فيها كل المستلزمات من حبر وأوراق متنوعة من الكاغد السمرقندي والصيني وأدوات التجليد ، وكان ابن البواب متصلاً مباشرة ببهاء الدولة ، لإخباره بما يحدث في الخزانة أولا بأول[٢] .

وعلى الرغم من أهمية المعلومة الجافة عنها ، إلا أنها لم تذكر هل كانت خزانة خاصة به ومكانها في قصره؟ أم أنها خزانة عامة ، يستفيد منها الجميع؟ ولم تذكر أيضا عدد الكتب التي فيها؟ والذي يثير الأمر حول خزانة الكتب هذه ، أن بهاء الدولة لم يذكر عنه أن لديه ميولاً علمية مثل

---

١ – ابن نصر الكاتب . أبو الحسن علي بن محمد(ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م): المفاوضة ، ص٣١٣-٣١٥ ، منشور ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها الدكتور/ إحسان عباس، ط١٤٠٨/١هـ / ١٩٨٨م، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان . ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،ج٤، ص٣٥٣. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٧، ص٣١٧.

٢– ابن نصر الكاتب : المفاوضة ، ص٣١٤.

والده عضد الدولة ، أو أنه يقرب إليه العلماء ويرعاهم ، أو لديه اهتمام بقراءة الكتب واقتنائها ، ونرجح هنا أن السبب في وجود هذه الخزانة يرجع إلى وزيره فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف ، المعروف بحبه وميله للعلماء، حيث كان ابن البواب من ندمائه ، فقد يكون الوزير صاحب فكرة خزانة الكتب لبهاء الدولة.

إن الأنسان ابن بيئته ، ولابد أن يحدث تأثير وتأثر مع من يعيش معهم وهذا شيء طبيعي لابد أن يقع فيه الإنسان ، كما هو حال الصاحب بن عباد كاتب فخر الدولة الذي استقدم بعض العلماء ؛ لتعليم مجد الدولة بن فخر الدولة وهو مازال صغيراً في السن ، وكانت النتيجة تأثره بالعلم والاهتمام به ، فلما تولى الحكم بعد وفاة أبيه انصرف إلى القراءة ونسخ الكتب ، وترك الحكم بيد والدته ، لكن لم تذكر لنا المصادر هل امتلك خزانة كتب أم لا؟ ومع ذلك لا نستبعد امتلاكه خزانة كُتب قد لا تكون كبيرة ، ولو كان الأمر خلاف ما ذكرنا لما اهمل ذكرها عند بعض المؤرخين على الأقل .

خزائن كتب الكُتاب والوزراء الخاصة :

العجز الواضح لدى الأمراء البويهيين في إنشاء خزائن الكتب في مختلف أرجاء البلاد ، وعدم الاهتمام بها ، انعدم عند بعض الكتاب والوزراء الذين اهتموا كثيراً بإنشاء خزائن الكتب وأولوها بالرعاية ، ورفدها بالكتب سواء بنسخها أو شرائها ، لمعرفتهم بقيمتها وما تحمل من كنوز معرفية ، وكونها ركناً أساسيّاً لظهور نهضة ثقافية في أي مجتمع من المجتمعات وتعم الفائدة للجميع ، ويرجع إليهم الفضل في وجود العديد من خزائن الكتب ، الخاصة أم عامة .

فبالنسبة إلى الخزائن الخاصة فقد انتشرت في دور بعض الكتاب والوزراء ، حيث أولوها عناية فائقة ؛ لأنها كانت من الأماكن المحببة إلى قلوبهم ، ولأنهم يرجعون إليها بغرض الاستفادة مما تحويه من علوم مختلفة ، خاصة وأن بعضهم قد برزوا في علوم مختلفة ، إضافة إلى أنهم كانوا يعقدون المجالس العلمية في دورهم ويحضرها العلماء ، ولذلك فهي تعد من الأشياء الأساسية التي لا يستغني عنها .

وتعد خزانة ابن العميد أول خزانة خاصة للكتب ، أنشئت في الدولة البويهية ، وكانت في داره بالري ، فهو أول كاتب يقوم بهذا العمل ، وتم رفدها بمصنفات قيمة من كل العلوم المختلفة ، وربما تكون على رأس قائمتها الكتب الأدبية ؛ بحكم أنه كان أديبا ويميل إلى الأدب .

ولنفاستها بما تحويه من الكتب كانت علاقته بها وثيقة ، وقيمتها عنده كبيرة فهي لا تقدر بثمن ، لذلك كان يخاف عليها كثيرا ، والذي يؤكد علو منزلتها عنده ، أنه عندما تعرضت الري لغزو الجيش الساماني سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م ، وانتشر السلب والنهب في أرجاء دور المدينة ، ومنها داره التي عاد إليها ليلا فوجدها منهوبة ، حيث لم يبق منها شيء ، حتى انه لم يجد فيها ما يجلس عليه ، ولا كوز يشرب فيه ماء ، وعندما رأى ما حدث انشغل قلبه على خزانة كتبه ، لذلك أول ما سأل كان عنها ، فلما قيل له إنها لم تمس قال:" ...أما سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه الخزانة هي التي لا عوض منها "[١] .

ويتضح لنا من هذا مدى مكانة الكتب لدى ابن العميد وأنها لا تقدر بثمن ، وكل شيء يفقد يمكن للإنسان تعويضه إلا الكتب ، فإنها لا

---

[١]- مسكويه : تجارب الأمم، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.

تعوض سريعا لأن جمعها من جديد يحتاج إلى جهد ووقت ، وقد لا يستطيع الحصول على بعضها ، ويكمن الاهتمام بها والخوف عليها ؛ لما تحويه من كتب كثيرة ونفيسة في مختلف العلوم ، وصفها مسكويه[1] بقوله: " وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر وزيادة " .

وكان المسؤول عن هذه الخزانة والمشرف عليها ، هو المؤرخ أبو علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه .

ولم يشذ عن ابن العميد في شغفه بالكتب والاهتمام بها ، تلميذه الصاحب إسماعيل بن عباد بل يمكن القول إنه فاق أستاذه ؛ في حبه للكتب واقتنائها ، ليس عند توليه الكتابة لفخر الدولة ، بل منذ صباه ، فقد كان هواه مع الكتب التي كانت عاملا مساعدا له في الكتابة ، حيث لم يصنف كتاب الوقف والابتداء في شبابه ، إلا بعد قراءة أكثر من سبعين كتابا تتعلق بهذا العلم٢ ، واذا قد صنف كتاب الوقف بعد الاطلاع على هذه الكتب ، فيمكن القول إن خزانة كتبه كانت تضم المئات ، وزاد عددها مع مرور الوقت وخاصة عندما تولى تدبير مملكة مؤيد الدولة ، ثم مملكة أخيه فخر الدولة ، حتى اشتملت خزائنه على مائتين وستة ألاف مجلد٣ ، وهذه خزانة عظيمة في عدد مصنفاتها من الكتب في مختلف العلوم ، لم يمتلكها أحد من كُتاب أو وزراء الدولة البويهية .

---

١ - المصدر نفسه ، ج٢، ص٢٢٤.

٢- الأنباري : نزهة الألباء ، ص٢٨٢.

٣ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،ج٤، ص٥٢.

لقد تميز الصاحب عن الكُتاب والوزراء البويهيين بميزة لا يمتلكونها وهي شغفه الشديد بالقراءة ، حيث كان الكتاب لا يفارقه في حله أو سفره فيذكر أنه عند أسفاره وتنقلاته لأمرٍ ما " يستصحب ... حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها ، فلما وصل كتاب الأغاني لم يكن بعده يستصحب سواه ، مستغنياً به عنه"[1].

وقد تكون هذه الرواية تحمل من المبالغة ما يجعلنا نستبعدها ؛ لأن حمل ثلاثين جمل من الكتب بغرض القراءة في كل سفرة ليس بالأمر الهين ، ففيها مشقة كبيرة في نقلها منذ الخروج وحتى العودة ، فكم سيقرأ منها في اليوم والليلة إذا افترضنا أنه كان وحيداً في سفره ، ناهيك عن ارتباطاته بمهمة رسمية خرج من أجلها لا بد له من إنجازها ، إضافة إلى مكانته الكبيرة بين الناس بمختلف شرائحهم ، الذين سيكون لهم نصيب في مقابلته والحديث معه ، ولكن يستفاد من هذه الرواية معرفة مدى اهتمام الصاحب وحرصه على القراءة ، ومصاحبته للكتاب الذي يعد خير جليس للإنسان ، واستغلال وقت فراغه إن وجد بما يفيد .

ولمكانة الكتاب في حياته ومن أجله ، رفض الصاحب بن عباد تولي الوزارة في الدولة السامانية الذي يتمناه كل شخص ؛ معللا سبب ذلك بأن كتبه تحتاج عند نقلها إلى أربعمائة جمل[2]، وفضل أن يكون مع كتبه ،

---

[1]- اليافعي. أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،ج٢، ص٢٧٠، وضع حواشيه/ خليل المنصور ،ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص١٢٠.

[2]- ابن الأثير : الكامل، ج٧، ٤٧١. الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٩٦.الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٩، ص٧٩.

التي لولاها ما وصل إلى مكانته الرفيعة تلك ، وإذا كانت هذه الكتب تحتاج إلى هذا الكم الهائل من الجمال لحملها تؤكد على كثرة عددها ، وعلى وجود أكثر من خزانة في داره ، تستوعب هذه الثروة من الكتب .

ووجد موظف خاص بتلك الخزانة ، مهمته الإشراف عليها وتوفير كل ما تحتاجه من مستلزمات ، يعرف بخازن الكتب ، هو أبو محمد عبدالله بن احمد ، من شعراء أصبهان ، وكان من خواص الصاحب وندمائه ، تولى الإشراف عليها له منذ شبابه[١] ، وكان ملازما للخزانة[٢] .

ويمكن القول إن وجود هاتين الخزانتين وما تحويانه من كتب في جميع العلوم ، سيكون لهما بالغ الأثر في الحياة الثقافية في عهد بني بويه لان العلماء وطلبة العلم سوف يستفيدون منها ، وقد يقول قائل : كيف ستكون الإفادة منهما وهي في دورهما ، إذ لا يستطيع بعض العلماء وطلبة العلم الدخول إليها في أي وقت من الأوقات ؟ ولا يمكن فتحها أمامهم حتى في أيام محدده كون صاحبيها يتوليان مناصب كبيرة وهامة في البلاد ؟ ونحن هنا نرجح أن العلماء الذين يحضرون مجلسيهما العلمية يطلعون عليها ويتناقشون حول ما ورد فيها ، ولا نستبعد وجود إعارة لهذه الكتب أو نسخها بعد أخذ الأذن بذلك.

الخزائن العامة :

والى جانب خزائن الكتب الخاصة في دور بعض الكتاب ، نجد بعض الكتاب والوزراء يقومون بإنشاء خزائن عامة للكتب ، تكون مفتوحة أمام العلماء وطلبة العلم والراغبين في المطالعة ، أيام الأسبوع

١- الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٣، ٣٢٥-٣٢٦.

٢ – ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج١، ص٢٣٩.

والسنة وبدون استثناء أو قيود تعوق الدخول إليها ، بحيث يستفيد منها كل من له رغبة في طلب العلم وهذا بحد ذاته يساعد على ازدهار الحياة الثقافية بين أفراد المجتمع .

خزانة الكتب في الري :

ومن هذه الخزائن العامة التي أنشئت في المدن ، خزانة الكتب في الري ، والذي تولى إنشائها وتزويدها بالكتب الصاحب بن عباد[1]، وذلك حتى يتمكن الناس جميعاً وعلى راسهم العلماء وطلبة العلم من الدخول إليها بسهولة ويسر ، ويستفيدون من كتبها ، ومما لاشك فيه أنها غير خزائن كتبه الخاصة الموجودة في داره ، ويبدو أنها كانت كبيرة الحجم وكثيرة الحجرات ، ولأنه منشئها وراعيها منذ البداية ، ولإيمانه بأهمية دورها في المجتمع ولتعزيز ذلك الدور ، أوصى الصاحب قبل وفاته بوقف خزانة كتبه التي في داره على العلماء وطلبة العلم ، ونقلها إلى دار الكتب الذي أنشأه في الري ، واستمرت هذا الدار تؤدي عملها حتى القرن السادس الهجري حيث استفاد منها الكثير من العلماء[2].

وذكر المقدسي[3] أنه يوجد في الري دار كتب ، لكنه لم يذكر من الذي أنشأها وزودها بالكتب ؟ ولم يقدم لنا وصفا عما تحتويه ؟ كما فعل ووصف خزانة كتب عضد الدولة ، وقد يكون السبب أن هذا الدار لم تكن بمستوى خزانة عضد الدولة ؛ من العظمة في البناء وما تحتويه من كتب ، وربما يكون هذا الدار التي ذكرها المقدسي ، غير دار الكتب التي أنشائها

---

١ – ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج٢، ص٢٦٢ .

٢ – المصدر نفسه ، ج٢، ص٤١٧.

٣– احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص٣٠٠.

الصاحب ، وكيفما كان الأمر فان الاستفادة منها ستكون كبيرة على أهل الري ، ويدل وجود هذه الدار وإن لم يعرف صاحبها ، على وجود من يساهم في إنشاء خزائن الكتب من أبناء المدينة ، وهذه مشاركة طيبة في إحياء النشاط الثقافي بين أفراد المجتمع في الري .

دار العلم في بغداد :

لقد حظيت بغداد عاصمة الخلافة العباسية بالاهتمام في إنشاء دور العلم بهدف نشر الثقافة مثل الري وغيرها ، والذي تولى هذا الأمر سابور بن اردشير، الذي عمل خزانة للكتب ضمن ملحقات دار العلم ، جعل فيها أكثر من عشرة الأف مجلد في مختلف العلوم[1] ، ليستفيد منه طلبة العلم والعلماء ، وهذا العمل لم يسبقه إليه أحد من الأمراء أو الكُتاب والوزراء في سبيل خدمة أهل العلم ، بتوفير المكان والعالم والكتاب في مكان واحد ، وكذلك مستلزمات العلم ، وهذه خدمة كبيرة لطلبة العلم ، ومنهج جديد في سبيل العلم وازدهار الحياة الثقافية .

وكانت هذه الخزانة منظمة بشكل دقيق ، لا تقل عن خزانة عضد الدولة في الترتيب والتنظيم ، فهي تمتلك فهرسة تحتوي على أسماء الكتب الموجودة فيها ، تعين الطالب الحصول على الكتاب الذي يريده سريعا ، أما القائمون عليها فهم من العلماء ، منهم عبد السلام بن الحسين ابن محمد بن احمد البصري اللغوي(ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) الذي تولى مهمة الإشراف عليها وحفظها ، وكان عالما أديبا صدوقا عارفا للقراءات ، وبما أنه كان

١ــ ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص١٥٤.

كريما في العطاء، إذا جاءه سائل وليس معه شيء يعطيه فيدفع إليه بعض كتبه التي لها قيمة كبيرة[1] .

وحتى تستمر هذا الدار تؤدي عملها بصورة دائمة ، وبدون انقطاع أو تعثر سواء كان موجوداً أم لا ، امن لها متطلباتها المالية التي تكفي للعلماء وطلبة العلم ، وتوفر جميع المستلزمات التي يحتاجونها ، بان أوقف عليها الوقوف[2]، ونتيجة لتوفر المصدر المالي لم تتعثر هذه الدار عن الأداء الذي من أجله أقيمت، حيث ظلت تؤدي رسالتها العلمية سبعين سنة ، إلى أن احترقت في عهد السلطان السلجوقي طغرلبك سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م[3] ، ولما حدث ذلك الحريق جاء إليها عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك ، وأخذ منها خيار كتبها ، أما البقية منها فقد نهب بعضها ، وحرق البعض الآخر[4] .

خزانة الكتب في فيروز أباذ[5] :

أخذت خزائن الكتب تلقى الاهتمام من قبل بعض الوزراء المهتمين بالعلم ، ليس في المدن الرئيسية بل نشرها في مناطق مختلفة من البلاد ،

١- ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥، ١٠٨. نزهة الألباء ، ٢٩٢. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١١، ص٥٨-٥ . الذهبي : طبقات القراء ، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦، تحقيق/ د/احمد خان ،ط٢/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٤، ص٢٣٨ .

٢ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥، ص١٧٢. ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص٤٦٤،ج٨، ص١٥٤. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣٥٦. ابن كثير: البداية، ج١٢، ص٢١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٢٨.

٣ ـ ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص١٥٤.

٤- الصفدي : الوافي ، ج١٥، ص٤٦.

5 - فيروز أباذ : بلدة بفارس قرب شيراز (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤، ص٣٢١)

حتى يستفيد الجميع منها ، حيث قام أبو منصور بهرام بن مافنة (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م) ، وزير الملك أبو كاليجار بإنشاء دار للكتب في فيروز آباد ، أوقفها على طلبة العلم، تحتوي على سبعة ألاف مجلد[١]، وفيها أربعة ألاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبدالله ابني مقلة[٢].

إن بناء هذه الدار كان إسهاما من قبل الوزير في إثراء الحياة الثقافية ، في مدن جديده لم يسبق أن وجدت فيها خزانة كتب ، ودورها الثقافي في هذه المدينة وما يحيط بها من بلاد سوف تستفيد ، وأن دور هذه الخزانة لا يقل أهمية عن دار العلم في بغداد .

١- ابن الجوزي : المنتظم، ج١٥، ص٢٨٢. ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص٢٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٥. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٦٦.

٢- ابن الجوزي : المنتظم، ج١٥،ص. ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص٢٥٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٥٥. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٦٦.

وفي النهاية يمكن استخلاص نتائج البحث الأتية:

-كان الأمراء البويهيون بعيدين كل البعد عن الحياة الثقافية ، لاهتمامهم بالشؤون العسكرية ، والتنافس على الحكم ، ويستثنى من ذلك عضد الدولة الذي قرب منه العلماء ، وعمل خزانة للكتب عظيمة الفائدة .

-كان الأكثر تأثيراً على الحياة الثقافية بعض الكتاب والوزراء ، لأنهم كانوا من العلماء ، أو يحبون العلم وأهله ، وخاصة في صدر الدولة البويهية ، ولأنهم كذلك عقدوا المجالس العلمية في دورهم ، وقربوا العلماء منهم ، فكانت لهم المنزلة الكبيرة والدرجة الرفيعة ، وأغدقوا عليهم الأموال .

-تميز النتاج العلمي بالغزارة في مختلف العلوم ، حتى أن بعض الكتاب والوزراء كانت لهم مصنفات ، وخاصة في العلوم اللغوية والشرعية .

-أهتم بعض الكتاب والوزراء بإنشاء خزائن للكتب ، وتزويدها بمختلف المصنفات العلمية ، ووجد نوعان من الخزائن ، الخاصة متوجد في دورهم ، والعامة وتوجد في كبرى مدن الدولة ، وتطور الأمر لتنتشر في المدن الأخرى .

-حدث تطور في الحياة الثقافية في عهد بني بويه ، فبعد أن كانت الحلقات العلمية تقعد في زوايا المساجد ، وكذلك المجالس العلمية في دور العلماء ، عمل بعض الوزراء دور العلم في بعض المدن ، فكانت هذه الدور عبارة عن مجمع علمي يضم طلبة العلم والعلماء وخزائن للكتب ، وتوفر هذه الدور كل المستلزمات العلمية التي يحتاجها أهل العلم ، وحتى تظل تؤدي رسالتها ولا تتعثر في أي وقت ، يتم تخصيص أوقاف يعود ريعها لصالح هذه المنشأة الثقافية وهم بهذا

العمل قد سبقوا الوزير نظام الملك وزير ألب ارسلان والسلطان ملكشاة في إنشاء المدارس النظامية.

-ولعل أهم النتائج أن الاهتمام بنشر الثقافة من الكتاب والوزراء البويهيين ، قد انعكس على البلاد بشكل عام حيث صار العديد من كبار رجال الدولة ممن هم أقل مرتبة من كاتب أو وزير ، يقومون بدور كبير في نشر الثقافة ، ومنهم على سبيل المثال: أبو علي بن سوار الكاتب(ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) ، أحد رجال حاشية عضد الدولة ، الذي أنشاء دارين للكتب واحد في رام هرمز[١] والآخر في البصرة ، ويدل ذلك على انتشار الوعي الثقافي بين الناس بمختلف شرائحهم ، جعل أبن سوار يقوم بهذا العمل إسهاما منه ورغبة في المشاركة في نشر العلم ، وتقديم خدمة للعلماء وطلبة العلم بحسب إمكانيته ، ويبدو أنه كانت توجد ضوابط لمَن أراد القراءة والنسخ من الزائرين في الدارين ، وتتميز دار الكتب في البصرة ، عن دار الكتب في رام هرمز ، بأنها كانت أكبر وأكثر كتباً[٢].

-ومن العلماء الذين ساهموا في نشر الثقافة ، القاضي أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد بن معاذ التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الذي بناء في نيسابور داراً للعلم يضم خزانة كتب ،

---

[١]- رام هرمز : مدينة في خوزستان (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص١٩) .

١ – المقدسي : أحسن التقاسيم ،ص٣١٦. متز : الحضارة الإسلامية، ص٢٤٨.

ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم ، وأجرى لهم الأرزاق ، ولم تكن الكتب تعار خارج الخزانة، ولكن يسمح بنسخها داخل الدار[1] .

وبذلك يكون الكتاب والوزراء البويهيين قد أوجدوا بنية ثقافية كبيرة في الدولة ، جعلت الجميع من مختلف شرائح المجتمع يشاركون في خلق حياة ثقافية عمت أرجاء البلاد .

٢- ياقوت الحموي : معجم البلدان،ج١،ص٤٩٦-٤٩٨. ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان ،ج٥،ص١١٥ .

المصادر والمراجع

- ابن الأثير. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .
- الكامل في التاريخ،تحقيق/أبي الفداء عبدالله القاضي ، ١/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان
- ابن أبي أصيبعة ، أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق/دكتور نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- ابن الأنباري. كمال الدين عبد الرحمن بن محمد(ت٥٧٧هـ/١١٨١م) .
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة-مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- ابن تغري بردي .أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر .
- الثعالبي. أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
- ابـن الجوزي . أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٤م) .

- المنتظم في أخبار الأمم والملوك ، تحقيق/محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ط١/١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله(ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،ج٢، ص ١٧٥٨، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ابن حجر العسقلاني . احمد بن علي(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .
- لسان الميزان، ط٢/١٣٩٠هـ/١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، لبنان .
- أبو حيان التوحيدي . علي بن محمد بن العباس(ت٤١٤هـ/١٠٢٣م).
- الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه/احمد أمين و احمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
- تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ،بيروت– لبنان .
- ابن خلكان . أبو العباس احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ /١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق/إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .
- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن احمد(ت٩٤٥هـ/١٥٣٨م) .
- طبقات المفسرين ، راجع النسخة وضبط أعلامها/لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ط١/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
- الذهبي . محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م) .
- تاريخ الإسلام ، تحقيق/الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، ط١ / ١٤١٣ه /١٩٩٣م ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق/شعيب الأرنؤط ، محمد نعيم العرقسوسي ، ط١/ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

- طبقات القراء ، تحقيق/ د/احمد خان ، ط٢/١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض .
- العبر ، تحقيق/ ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت.
- الزهراني . محمد مسفر(دكتور) .
- نظام الوزارة في الدولة العباسية٣٣٤-٥٩٠هـ(العهدان البويهي والسلجوقي)، ط٣/١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيداء، بيروت.
- الصفدي. صلاح الدين خليل بن ايبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
- الوافي بالوفيات، تحقيق/احمد الأرناؤوط ـ تركي مصطفى، ط١/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- طاش كبرى زاده . احمد بن مصطفى(ت٩٢٨هـ/١٥٢١م).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ط١/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن العماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري ، بيروت .
- أبو الفداء. الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) .
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- ابن فرحون المالكي . إبراهيم بن علي (ت٧٩٩هـ/١٣٩٦م) .
- الديباج المذهب في أعيان عُلماء المذهب ، تحقيق/ دكتور/محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث ، القاهرة,مصر .
- القفطي. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

- إنباهُ الرواة على أنباهِ النحاة ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
- أخبار العُلماء بأخبار الحُكماء ، مكتبة المتنبي،القاهرة .
- بن كثير. عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- البداية والنهاية، تحقيق/احمد عبد الوهاب فتيح ، دار الحديث، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- متز . آدم .
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة/محمد عبد الهادي أبو ريده، ط٢/١٩٩٥م،الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- مسكويه . أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) .
- كتاب تجارب الأمم ، شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية ، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.
- المقدسي . شمس الدين أبو عبدالله محمد بن احمد بن البناء البشاري (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) .
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه ، محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .
- ابن النديم. محمد بن إسحاق(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م).
- الفهرست ، اعتنى بها وعلق عليها /الشيخ إبراهيم رمضان، ط١/١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت.
- ابن نصر الكاتب . أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٣٧هـ /١٠٤٥م).

- المفاوضة ، منشور ضمن كتاب شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها الدكتور/إحسان عباس،ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،لبنان.
- ابن الوردي . زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) .
- تاريخ ابن الوردي ، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن أبي الوفاء القرشي .أبو محمد عبدالقادر بن محمد (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) .
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢/١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، هجر للطباعة والنشر ، الجيزة ،مصر.
- اليافعي .أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٨هـ/١٣٦٦م).
- مرأة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه/ خليل المنصور ،ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
- ياقوت الحموي. أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
- معجم الأدباء، دار صادر، العلمية، بيروت، لبنان.
- معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

